**هدف المحاضرة:** التعرف على فلسفة المدرسة الطبيعية،وموقفها من مسألة أصل الوجود، والتمييز بين المدرسة الأيونية والمدرسة الإيلية والمدرسة الذرية.

**المحاضرة الثالثة: المدرسة الطبيعية ( الكوسمولوجية)**

ظهرت الفلسفة اليونانية أول ما ظهرت مع الحكماء الطبيعيين الذين بحثوا عن العلة الحقيقية للوجود حيث أرجعوه إلى أصل مادي، وكان ذلك في القرن السابع والسادس قبل الميلاد. وكانت فلسفتهم خارجية وكونية أساسها مادي أنطولوجي تهتم بفهم الكون وتفسيره تفسيرا طبيعيا وكوسمولوجيا باحثين عن أصل الوجود. وعندما نتحدث عن المدرسة الطبيعية لا بد أن نشير إلى المدرسة الأيونية والمدرسة الإيلية والمدرسة الذرية.

**أولا: المدرسة الأيونية:** جاءت التسمية من لفظ أيونية، المدينة الإغريقية القديمة تقع على الساحل الغربي لآسيا الصغرى على البحر الأبيض المتوسط. وتضم المدرسة الأيونية كل من طاليس وأنكسيمندرس وإنكسيمانس وهراقليطس وأمبادوقليس وإنكساغوراس

**1ـــ طاليس( 560-548 ق م) :** لقد قام طاليس في مجال الرياضيات بوضع العديد من النظريات الشهيرة في مجال الهندسة، وتعد نظرياته في الهندسة الأساس الذي قام عليه علم الرياضيات في اليونان. وكذلك كانت الدراسات التي أجراها في مجال الفلك الأساس الذي قام عليه علم الفلك في أوروبا، حيث قام طاليس برصد عدد من الظواهر الفلكية الصغرى كالتنبؤ بخسوف الشمس الذي حدث في العام 535 ق م. و يرجع طاليس أصل العالم إلى الماء باعتباره العلة المادية الأولى التي كانت وراء خلق العالم. و يؤكد أن الماء هو قوام الموجودات بأسرها، فلا فرق بين هذا الإنسان وتلك الشجرة وذلك الحجر إلا الاختلاف في كمية الماء الذي يتركب منها هذا الشيء أو ذاك.

**2ـــ أنكسمندريس( 610-545 ق م):** تلميذ طاليس وأستاذ المدرسة المالطية، وهو يرى أن أصل العالم مادي يكمن في اللامحدود أو اللامتناهي ، ويعني هذا أن العالم ينشأ عن اللامحدود ويتطور عن اللامتناهي، وقد تصور امتداد هذا اللامتناهي حتى ظهور الكائنات الحية. وآمن انكسمندريس بالصراع الجدلي وبنظرية التطور، وقد قال في هذا الصدد عبارته المشهورة: " إن العوالم يعاقب بعضها بعضا على الظلم الذي يحتويه كل منها"

**3ـــ إنكسمانس ( 588 ــــ 524 ق م ):** يعد انكسمانس أحد الفلاسفة المالطيين، وأحد الحكماء السبعة المشهورين، وهو من تلاميذ أنكسيمندريس، وواحد من أعلام المدرسة اليونانية الثلاثة (طاليس، انكسيمندريس، انكسيمانس)، هذا الفيلسوف كان يرى غير ما يراه الفلاسفة السابقين، حيث يرى أن الهواء فقط هو أصل الأشياء و أصل الكون وعلة الوجود الأولى، ولكن وبالرغم من هذا إلا اننا نجد أنه قد إتفق مع طاليس و إنكسيمندريس على أن هناك ماده واحده فقط التي تعتبر أصل الأشياء.

**4ـــ هراقليطس (540 ـــ 480 ق م ):** اعتبرالنار هي الجوهر الأول، ومنها نشأ الكون. وقال أيضاً بـ التغيّر الدائم. كان هراقليطس مشهورًا لإصراره على أن الوجود في تغير دائم، باعتبار [التغير](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%BA%D9%8A%D8%B1_(%D8%AA%D9%88%D8%B6%D9%8A%D8%AD)) هو الجوهر الأساسي في [الكون](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D9%86) كما جاء في قوله: «لا يخطو رجل في نفس النهر مرتين أبدًا». يعتبر ذلك إحدى النقاشات الأولى لمفهوم [الصيرورة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B5%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%B1%D8%A9) الفلسفي، وقد تعارض مع كلام [بارمينيدس](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D9%85%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%AF%D8%B3) القائل بأن: «يبقى المرء على ما يكون عليه». وتلك إحدى النقاشات الأولى في مفهوم [الكينونة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%8A%D9%86%D9%88%D9%86%D8%A9) الفلسفي.  وبذلك يمكننا اعتبار بارمينيدس وهراقليطس اثنين من مؤسسي [علم الوجود](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%88%D8%AF).

**5ــــ أمبادوقليس ( 495 ـــ 435 ق م ):** يرى أمبادوقليس أن أصل الأشياء يعود إلى أربعة عناصر: التراب والماء والهواء والنار، وهذه العناصر ثابتة في ذاتها ومتساوية فيما بينها، تنشأ الأشياء والأشكال من انضمام هذه العناصر أو افتراقها بمقادير مختلفة ( نسبة كل مادة من هذه المواد إلى بعضها داخل كل شيء )، وعندما يموت كائن حي ما، فإن العناصر الأربعة الموجودة ضمنه تبدأ بالانفصال عنه دون أن يطرأ عليها أي تحول، فالعناصر الأساسية تبقى أبدا كما هي. ويرى أمبادوقليس أن هناك قوتان كبيرتان هما قوة المحبة وقوة الكراهية، هاتان القوتان تعملان على جمع العناصر المتشابهة وعلى تفريقها، وهذه العناصر ينجم عنها ما في العالم من نظام وخير وجمال، وتفرق الكراهية شملها فينشأ عنها الاضطراب والشر والقبح. وقد أكد أمبادوقليس أن خصومة المحبة والكراهية تتبع نظاما رياضيا حيث ان علاقتهما تتوزع بين أربعة أدوار، في الدور الأول تكون السيادة مطلقة لمبدأ المحبة، وفي الدور الثاني تنتقل السيادة من المحبة إلى الكراهية، وفي الدور الثالث يسود مبدأ الكراهية سيادة مطلقة، وفي الدور الرابع يعود الانتقال من الكراهية إلى المحبة.

**6ـــ انكساغوراس ( 500 ـــ 438 ق م ):** رأى انكساغوراس أن في الكون عقلا يسيره وينظمه وأعتقد أن النقطة الأولى أو الكتلة المختلطة أطلقت هذا النظام الكوني (الكون)، فنشأت حركة دورانية مستمرة وصارت [الأرض](https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%B6) في مركز هذه الحركة الدورانية (الإعصار) أما [الشمس](https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%85%D8%B3) [والقمر](https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%85%D8%B1) والأجرام الأخرى فقد قذفت بعيدا عن الأرض بالقوة الدائرية. فسر أنكساغوراس [الكسوف الشمسي](https://www.marefa.org/index.php?title=%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B3%D9%88%D9%81_%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%85%D8%B3%D9%89&action=edit&redlink=1) [والخسوف القمري](https://www.marefa.org/index.php?title=%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B3%D9%88%D9%81_%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%85%D8%B1%D9%89&action=edit&redlink=1) تفسيرا صحيحا ومستندا الى حجب القمر للشمس (الكسوف) ووقوع القمر في ظل [الأرض](https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%B6)  ( الخسوف) ، وكان لا يرى فرقا بين طبيعة الأرض والأجرام السماوية، خلافا لما هو سائد في زمانه. وقال إن القمر جرم مسكون كالأرض يتكون من تراب وصخور وسهول وأودية ويعكس ضوء الشمس مقتربا تماما من النظرة العلمية الحديثة للقمر. ولقد اعتبر انكساغوراس القوة المحركة لتفسير العملية العالمية الخاصة بفصل الخليط أنها قوة غير فيزيائية وغير جسمانية كلية، إنها العقل الكلي ، والعقل الكلي هو الذي ينتج الحركة في الأشياء التي تتسبب في تشكيل العالم، فالعالم محكوم على نحو عقلاني فهو يتحرك نحو غايات محددة. وما يمكن أن يقدمه القانون والنظام هو العقل وحده ومن ثم فلابد من عقل كلي يدبر العالم.

**ثانيا: المدرسة الإيلية :**الاسم مشتق من ايليا وهي قد كانت مستوطنة تابعة لفوكيا من مقاطعة يونيا قديما، وحاليا فوكا هي تابعة للدولة التركية. وأهم روادها: اكسانوفان و بارمنيدس وزينون الإيلي.

**1ـــ اكسانوفان (570 ـــ 480 ق م ):** لقد رد جميع الموجودات إلى التراب، وذهب إلى أننا جميعا انبثقنا من التراب، إلا أن مياه البحار سوف تطغى آخر الأمر على اليابسة، وعندها يفنى الجنس البشري وسواه من المخلوقات الحية، ولكن الحياة لا تلبث أن تتجدد ويولد عالم آخر من جديد لا يلبث أن يفنى بدوره وهكذا دواليك.

**2ـــ بارمنيدس(510 ــــ 450 ق م):** رفض بارمنيدس القول بحركة الوجود وتغيره على نحو ما صرح به هيراقليطس، ونادي بأن العالم ثابت وساكن ، وقد وجه بارمنيدس اهتمامه إلى مشكلة العقل والحواس شأنه في ذلك شأن معاصره هيراقليطس، حيث اعتقد أن الإنسان يجب أن يتبع العقل وحده إلا أن عقله أوصله إلي نتيجة هي عكس ما وصل إليه هيراقليطس تماما، فلا شيء يتغير، وأن الكون ساكن سكونا مطلقا، فالتغير والحركة والتبادل لم تكن في نظره سوى أوهام مصدرها الحواس . إن بارمنيدس باتجاهه العقلي وهيراقليطس باتجاهه الحسي هما رواد الفكر الفلسفي بلا منازع . إن الفيلسوفين الكبيرين هرقليطس و بارمنيدس مهدا طريق الفلسفة : الأول ينادي بالتغير والصيرورة ، والثاني بالثبات والسكون . ولم تستمر السيادة لهذين التيارين الفلسفيين كثيرا ، بل ظهر فريق آخر من الفلاسفة حاول التوفيق بين هذين الاتجاهين المتضادين.

3**ــــ زينون الإيلي (490 ــ 430 ق م ):** كان زينون عضوا في المدرسة الإيلية التي أسسها پرمنيدس القائلة بأن "عالم الحس وهم باطل". وكانطرح زينون قائم على نفي الكثرة التي ترى الكون كله شيء واحد لا يقبل التجزئة، ونفي الحركة. وانتقل زينون إلى أثينا حي التقى بسقراط الذي كان لا يزال صغيراً، وعرض عليه كتابه الذي طرح به أشهر مفارقاته، و كان زينون يقصد من وراء تلك المفارقات الدفاع عن فرضية بارمنيدس في نفي الكثرة والحركة. ومن بين حججه في نقد الكثرة حجة المكان حيث يرى زينون أن كل ما هو موجود فإنه يوجد في المكان وهذا المكان أيضاً لا بد أن يكون موجوداً في مكان، وهذا المكان الجديد سيكون أيضاً بدوره موجوداً في مكان ثالث، وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية، أي أنه هناك أمكنة لا متناهية، كل مكان يستوعب المكان الذي يليه ، وهذا غير ممكن إدراكه أو تصوره، ومعنى ذلك أن الوجود واحد ثابت محدود.

أما من بين حججه في نقد الحركة حجة آخيل والسباق، مفادها: لنفترض أن آخيل متسابق يوناني أراد الاشتراك في سباق أثينا، وعلى فرض أن الحركة ممكنة، فلكي يصل آخيل إلى نهاية السباق لا بد له أن يقطع نصف المسافة، ولكي يقطع نصف المسافة لا بد أن يقطع ربعها، ولكي يقطع ربعها لابد أن يقطع ثمنها وهكذا سيصل آخيل إلى نتيجة مفادها أنه ليس بإمكانه أن يقطع أي مسافة بل إنه لا يمكنه أن يتحرك من مكانه أبداً، لأن تجزئة المسافة لامتناهي، والحركة ما هي سوى قطع المسافة والانتقال من نقطة إلى أخرى.

**ثالثا: المدرسة الذرية:** كان أول من طبق الفلسفة الذرية وتوسع فيها وجعلها نظرية مشهورة الفيلسوف ديمقريطيس

**ــــ ديمقريطيس ( 460 ــــ 370 ق م ):** لقد أسس ديمقريطس النظرية الذرية للكون، واعتبر أن [الذرّة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B0%D8%B1%D8%A9)  وحدة متجانسة غير محسوسة، غير متناهية [العدد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%AF%D8%AF)، متناهية الصغر، وهي الجزء الذي لا يتجزأ من [المادة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D8%AF%D8%A9)، [أزلية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D8%AF) ومتحركة بذاتها. وتتشابه الذرات من حيث [طبيعة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D8%A8%D9%8A%D8%B9%D8%A9) المادة وعدم قبولها [القسمة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D8%B3%D9%85%D8%A9_(%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%B6%D9%8A%D8%A7%D8%AA))، لكنها تختلف من حيث [الشكل](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D9%83%D9%84_%D9%87%D9%86%D8%AF%D8%B3%D9%8A) والوضع والترتيب. وبوصف ديموقريطس أحد [فلاسفة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9) الطبيعة الأوائل الذين حاولوا إعادة الكون إلى جوهر واحد أو مبدأ واحد، فهو يفسر عملية الكون والفساد تبعا [لنظريته](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9) [الذرية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B0%D8%B1%D9%8A%D8%A9). وبرأيه أنه باتحاد الذرات ينشأ الكون، وبافتراقها يتم فساده وزواله، فالأشياء تتركب من ذرات متحركة تلقائيا، ويرجع اختلافها إلى اختلاف مقدار الذرات الداخلة فيها وشكلها وطريقة ترتيبها، ثم تكتسب كيفياتها من [لون](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D9%88%D9%86) ورائحة [وحرارة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%B1%D8%A7%D8%B1%D8%A9)، وهكذا تخلق الأشياء بفعل تصادم الذرات المتحركة في خلاء الكون اللانهائي، فتتنافر وتتباعد بفعل اختلافها، أو تتجاذب وتتآلف بفعل تماثلها. ولأن الخلاء والذرات لانهائية، فالأرجح أن هناك أكواناً أخرى غير هذا [الكون](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D9%86). يقول ديمقريطس: " إن الذرات في الأساس جسيمات صغيرة، ليست لها نوعية معينة، أما الفراغ فهو المكان الذي تتحرّك فيه منذ الأزل، وهي في حركتها إما أن تتشابك بشكل ما أو تتصادم بحيث يدفع بعضها بعضاً ثم تتلاشى من جديد ".